ألف حكاية وحكاية (٧٦)

حادث على السلم

تأليف
يعقوب الشارونى

وحكايات أخرى



رسوم
عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

حادث على السلم

لم يتمكَّنْ صديقي من تناولِ إفطارِهِ ، فقد كانَ في عجلةٍ شديدةٍ من أمرِهِ . إنه على موعدٍ في أحدِ الفنادقِ الكبرى مع مندوبِ شركةٍ عالميةٍ ، سيوقِّعُ معه عقدًا لاستيرادِ أجهزةٍ ومعداتٍ قيمتُها نصفُ مليونِ جنيهٍ .

وكانَ قد اتفَّقَ مع صديقٍ له ، على أن يقابلَهُ في الشارعِ المجاورِ ، ليركبَ معه سيارتَهُ ، ليصلَ إلى الفندقِ في الموعدِ المُحدَّدِ .



وأثناءَ استعجالِهِ الشديدِ ، انزلقَتْ قدمُهُ على درجاتِ سلَّمِ البيتِ ، فسقطَ بعنفٍ ، والتوَتْ ساقُهُ وكُسِرَ معصمُ يدِهِ .

وحملَهُ أولادُهُ إلى شقتِهِ ، وأرسلوا يستدعونَ سيارةَ الإسعافِ لنقلِهِ إلى المستشفى . لم يكُنْ صديقى يفكِّرُ فيما أصابَهُ من ألمٍ ، بل كانَ تفكيرُهُ مُنصبًّا على مندوبِ الشركةِ الذى سيسافرُ ظُهرَ نفسِ اليومِ ، من غيرِ أن يتمكَّنَ من توقيعِ العقدِ معه .

فى تلك اللحظةِ ، ارتفعَ رنينُ جرسِ التليفونِ ، وكانَ المُتحدِّثُ أحدَ زملاءِ العملِ ، يُخبِرُ أهلَ البيتِ أن السيارةَ التى كانَ سيركبُها ربُّ البيتِ ، قد وقعَ لها حادثُ تصادمٍ مُروِّعٌ ، فتحطَّمَتْ ، وماتَ كلُّ منْ كانَ فيها !!



وسيطرَ الذهولُ على صديقى ، فلم ينطقْ بحرفٍ ...

لقد كانَتْ إصابتُهُ البالغةُ ، هى سببَ نجاتِهِ المُؤكَّدةِ من الموتِ !!

الأعضاء المشلولة تتحرك

عندَ محطةِ الأتوبيسِ ، جلسَ الشابُّ المشلولُ الساقَيْنِ على مقعدٍ بعجلاتٍ ، وقد أمسكَ بيدِهِ جهازَ إرسالٍ صغيرًا . وعندما وصلَ الأتوبيسُ ، همسَ الشابُّ إلى الجهازِ بألفاظٍ مُعيَّنةٍ مُوجَّهةٍ إلى عقلٍ إلكترونيٍّ صغيرٍ جدًّا ، مُثبَّتٍ في حزامٍ حولَ وسطِهِ .

وعلى شاشةٍ كبيرةٍ ، وقفْتُ أتابعُ المعجزةَ ، في متحفِ علومِ المستقبلِ بمدينةِ كليفلاند . لقد رأيْتُ الساقَيْنِ المشلولتَيْنِ تتحركانِ من تلقاءِ أنفسِها ، فوقفَ الشابُّ على مهلٍ ، وأمسكَ مِقْبَضَ بابِ الأتوبيسِ ، ورفعَ نفسَهُ فوقَ درجاتِ السلمِ ، وصعدَ بقدمَيْهِ درجةً بعدَ أخرى .



فما الذى مكّنَ هذا الشابَّ من تحريكِ ساقَيْهِ ، بعدَ سنواتٍ من الشللِ بسببِ حادثٍ تعرَّضَ له ؟

لقد خضعَ لتجربةٍ جديدةٍ ، وهى " جراحةُ ترقيعِ الأعصابِ " ، لزرعِ جهازٍ صناعِيٍّ فى العضلاتِ المشلولةِ، يقومُ بعملِ الأعصابِ المصابةِ . فقد أرسلَ الشابُّ أوامرَهُ إلى العقلِ الإلكترونِيِّ ، الذى وجَّهَ إلى العضلاتِ رسالةً سريعةً ، تُشبِهُ تمامًا الرسائلَ التى كانَ يُوجِّهُها المخُّ إلى تلك العضلاتِ بواسطةِ الأعصابِ ، لتحديدِ نوعيةِ الانقباضِ المطلوبِ من العضلاتِ ، وتحديدِ شدةِ واتجاهِ هذا الانقباضِ .

ووصلَتِ الرسالةُ إلى الأقطابِ الكهربائيةِ الدقيقةِ التى تمَّ زرعُها فى عضلاتِ العضوِ المشلولِ ، والذى لم تكنْ تصلُ إليه الإشاراتُ العصبيةُ الواردةُ من المخِّ ، فاستجابَ لتلك الرسالةِ ، وعادَتْ إلى الساقَيْنِ حركتُهما الطبيعيةُ .

الشارة الحمراء لها عيون

فى أولِ يومٍ بعدَ بلوغِهِ ١٦ سنةً ، حصلَ " شريف " على رخصةِ لقيادةِ سيارةٍ داخلَ حدودِ مدينةِ " كليفلاند " بأمريكا ، فهو ممنوعٌ حتى سنِّ ١٨ سنةً من الخروجِ بسيارتِهِ إلى الطرقِ السريعةِ خارجَ المدينةِ .



ولأن الطرقَ فى أمريكا كثيرةٌ جدًا ، فهم لا يضعونَ إشاراتِ المرورِ الضوئيةَ فى كثيرٍ من الطرقِ الفرعيةِ ، بل يضعون عند كلِّ تقاطعٍ لافتةً حمراءَ كبيرةً ، عليها كلمةُ " قِفْ " ، لكى يتأكَّدَ السائقُ من خلوِّ الطريقِ الذى يتقاطعُ مع طريقِهِ ، قبلَ أن يخرجَ إليه .

كانَ شريف عائدًا ذاتَ مساءٍ من مدرستِهِ الثانويةِ ، وشاهدَ اللافتةَ الحمراءَ ، لكنه بغيرِ أن يتوقَّفَ ، ألقى نظرةً سريعةً حولَهُ ، وانطلقَ بنفسِ سرعتِهِ يعبرُ الطريقَ المتقاطعَ .

وفجأةً تَعالَى صُراخُ الإنذارِ من سيارةِ شرطةٍ ، يأمرُهُ بالتوقُّفِ !

قالَ له ضابطُ الشرطةِ : " لعلك ظننْتَ أنه ليسَتْ هناك سياراتٌ قادمةٌ في الطريقِ المتقاطعِ ، لكنَّنا كُنَّا هناك ، وكانَ يمكنُ أن يوجدَ غيرُنا ، فتؤذِيَ نفسَكَ وتؤذِيَ الآخرينَ معك أذًى شديدًا . ادفع الآنَ غرامةً ٨٠ دولارًا (حوالى ٣٠٠ جنيه) وغدًا تقفُ أمامَ القاضى ومعَكَ أحدُ والدَيْكَ . "



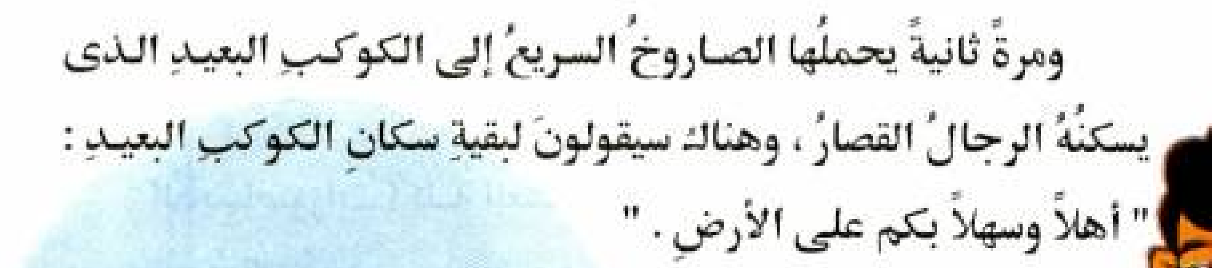
وقالَتْ لى والدةُ شريف : " لولا تأكيدى للقاضى أننى سأنبِّهُ شريف دائمًا إلى احترامِ إشاراتِ المرورِ ، لكانَ قد قرَّرَ سحبَ رخصةِ القيادةِ منه . "

صاروخ الرجل البرتقالى

انهمكَ الطفلُ ابنُ الخامسةِ مع الفرشاةِ والألوانِ المائيةِ ، ثم أمسكَ ما رسمَهُ بالأزرقِ والبرتقاليّ والبنفسجيّ والأسودِ ، وانطلقَ يُعبّرُ عن خيالِهِ في كلماتٍ ، ليشرحَ ما أبدعَهُ بالألوانِ .

قالَ في حماسٍ : " هل ترى هذا الرجلَ البرتقاليّ ؟ لقد سارَ كلَّ هذه الطرقِ الزرقاءِ ، ليصلَ إلى ذلك الصاروخِ الأسودِ .. الصاروخُ سيطيرُ إلى الفضاءِ ، ولن ينتظرَ عندَ القمرِ .. سيُلقِي عليه نظرةً ، ويقولُ : " أراكَ بخيرٍ عندما أعودُ . " ثم يكملُ رحلتَهُ في الفضاءِ ..

هناكَ سيجدُ رجالاً قصارَ القامةِ ، عيونُهم واسعةٌ ، وآذانُهم كبيرةٌ . سيحملُ الصاروخُ رجالَ الفضاءِ هؤلاء ، ويعودُ بهم الرجلُ البرتقاليُّ الى الأرضِ . وسيزرعُ رجالُ الفضاءِ هذه النباتاتِ البنفسجيةَ اللونِ التي تراها حولَ الطريقِ الأزرقِ ، فيجمعُها الرجلُ البرتقاليُّ ، ويسيرُ في كلِّ هذه الطرقِ الزرقاءِ ، ويملأُ بها الصاروخَ الأسودَ .



ومرةً ثانيةً يحملُها الصاروخُ السريعُ إلى الكوكبِ البعيدِ الذى يسكنُهُ الرجالُ القصارُ ، وهناك سيقولون لبقيةِ سكانِ الكوكبِ البعيدِ : " أهلاً وسهلاً بكم على الأرضِ . "



ونظرَ إلىَّ الطفلُ صاحبُ الخيالِ الواسعِ ، وختمَ حديثَهُ عن رسمِهِ قائلاً : " هل تعرفُ اسمَ هذه الحكايةِ التى رسمْتُها ؟ إنها حكايةُ صاروخِ الرجلِ البرتقالِىِّ . "

ثم عادَ يسألُنى : " هل تعرفُ مَنْ هو هذا الرجلُ البرتقالِىُّ ؟ "

ولم ينتظرْ إجابتى ، بل أكملَ فى ثقةٍ قائلاً : " إنه أنا ! "

طاقة المستقبل التى لا تفنى

الديناصوراتُ آكلةُ العشبِ الهائلةُ الحجمِ ، والديناصوراتُ المتوحشةُ آكلةُ اللحمِ ، والديناصوراتُ الطائرةُ بأجنحةٍ من الجلدِ وبها أصابعُ ، ولها مناقيرُ بها أسنانٌ .. كلُّ هذه المخلوقاتِ التى ملأتِ الأرضَ حوالى ٢٠٠ مليونِ سنةٍ ، اعتمدَتْ فى حياتِها على نوعٍ واحدٍ من الطاقةِ ، هى الطاقةُ المستمَدَّةُ من الشمسِ ، والتى كانَتْ سببًا فى نموِّ النباتاتِ التى عاشَتْ عليها آكلاتُ العشبِ ، التى كانَتْ تأكلُها آكلاتُ اللحمِ .

ثم جاءَ الإنسانُ ، فاستغلَّ الطاقةَ المستمَدَّةَ من الأخشابِ والفحمِ ، ثم المستمدةَ من المياهِ والرياحِ . ثم الطاقةَ من البترولِ والطاقةَ النوويةَ .



وعلى شاشةٍ ضخمةٍ في مدينةِ ديزني العلميةِ ، كانَتْ هناك مُسابقَةُ تليفزيونيةٌ ، تدورُ أسئلتُها حولَ أولِ أنواعِ الطاقةِ التي استخدمَها الإنسانُ ، والطاقةِ المُتجدِّدةِ ، والطاقةِ التي لا تُلوِّثُ البيئةَ وأجابَتِ المتسابِقةُ إجاباتٍ سليمةً عن كلِّ الأسئلةِ ، حتى ربحَتْ ١٧٠ ألفَ دولارٍ ..

وجاءَ دورُ آخرِ سؤالٍ، قالوا لها : إذا ذكرْتِ إجابتَهُ الصحيحةَ ربحْتِ ٣٥٠ ألفَ دولارٍ ، وإذا أخطأْتِ ، خسرْتِ الكلَّ . وكانَ السؤالُ هو : " ما هي طاقةُ المستقبلِ التي لا تفنى ؟ "



وكانَتِ الإجابةُ الصحيحةُ التي لم تعرفْها ،أن الطاقةَ التي ستعاونُ الإنسانَ على شقِّ طريقِهِ بنجاحٍ في المستقبلِ ، هي "طاقةُ العقلِ البشرِيِّ " ، وهي طاقةٌ لن تفنى ، وستجعلُ الإنسانَ قادرًا على اكتشافِ أنواعٍ جديدةٍ من الطاقةِ ، والاستفادةِ منها مهما طالَ الزمانُ.

أسماك نقيسها بالمتر !!

اقتربَتْ سفينةُ هـواةِ الصيدِ من شاطئِ نيويورك ، واستعدَّ كلُّ صيَّادٍ ليغادرَ السفينةَ التى قضَى عليها ساعاتٍ يصيدُ فى المياهِ العميقةِ. ونزل شابٌ يحملُ حقيبةَ صيدٍ امتلأتْ بالأسماكِ ، فاقتربَ منه صيَّادٌ كانَ يجلسُ على الشاطئِ ، وسألَهُ فى ابتسامةٍ : " هل كانَ الصيدُ جيدًا اليومَ ؟ "

أجابَ الشابُ فى حماسٍ : " جيدًا جدًّا . "

وعادَ صيادُ الشاطئِ يسألُ :

" وهل وجدْتُم أنواعًا جيدةً من الأسماكِ ؟ "

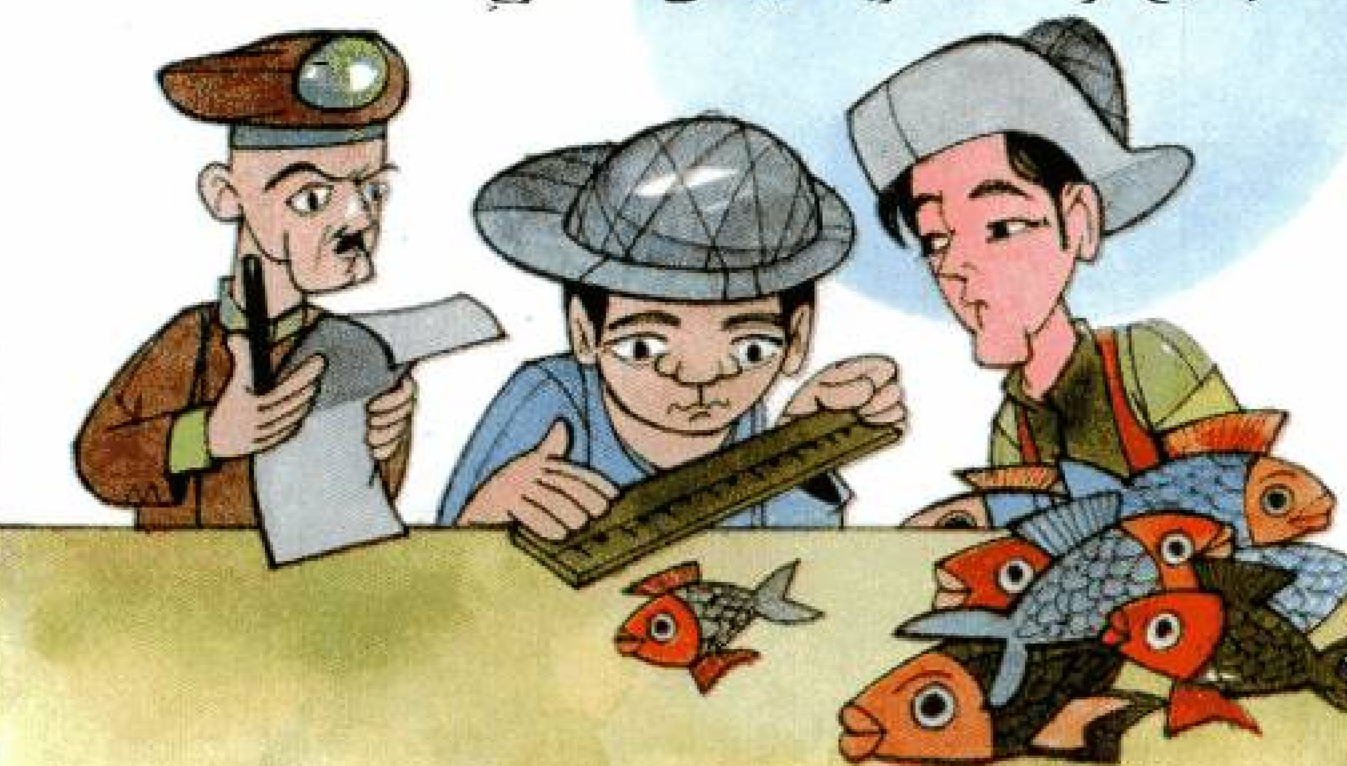
وفى نفسِ الحماسِ ، فتحَ الشابُ حقيبةَ صيدِهِ ، يستعرضُ فى فخرٍ الأسماكَ التى اصطادَها .



ومدّ صيادُ الشاطئِ يدَهُ ، وأمسكَ من بين الصيدِ سمكـةً صغيرةً ، وقالَ : " هل هذه كانَتْ أيضًا من بينِ صيدِكَ ؟ "

وقبلَ أن يُجيبَ الشابُ ، كانَ الصيادُ قد أخرجَ " مسطرة " وبدأ يقيسُ طولَ السمكةِ .

وفهمَ الشابُ الخطأ الكبيرَ الذى ارتكبَهُ ، فقد أضافَ حارسُ الشاطئِ قائلاً : " انظرْ .. إنها أقصرُ من الطولِ المسموحِ به . لماذا لم تلقِ بها ثانيةً إلى الماءِ ؟! ألا تعرفُ أنه ممنوعٌ صيدُ هذا السمكِ إلا إذا بلغَ طولاً مُحدَّدًا ، وإلا قضَيْنا على هذا النوعِ تمامًا ؟ "



وفى هدوءٍ أخرجَ دفترًا ، كتبَ فيهِ الاسمَ والعنوانَ ونوعَ المخالفةِ ، وسلَّمَ ورقةً إلى الشابِّ الذى وقفَ مُرتبِكًا ، والحارسُ يقولُ له : " غرامةُ ٥٠٠ دولار ، يُمكِنُكَ إرسالُها بشيكٍ . "

بعض الوقت لتبصر بغير عيون

كانَ من الواضحِ أنها لا تستطيعُ أن ترى الطعامَ الذى أمامَها من أسماكِ البحرِ المختلفةِ . وكانَتْ تجاعيدُ وجهِها العميقةُ ، وبطءُ حركاتِها ، وصوتُها الواهنُ ، كلها تؤكّدُ أنها تجاوزَتِ التسعينَ .

وعلى المقعدِ المجاورِ لها أمامَ مائدةٍ فى مطعمِ الأسماكِ الشهيرِ على أحدِ شواطئِ فلوريدا ، جلسَتْ شابّةٌ فى العشرينَ ، تمسكُ لها بالشوكةِ ، أو تستخدمُ السكينَ بدلاً منها .



وفوجِئْنا بها معنا فى مصعدِ الفندقِ الذى ننزلُ به على شاطئِ المصيفِ . والتفتَتِ العجوزُ ناحيةَ الأبِ الشابِّ ، وسألَتْهُ : " هل معك أطفالٌ ؟ "

أجابَ الشابُ : " معنا طفلتى " .

هنا قالَتِ الطفلةُ : " هاللو " ، فمدَّتِ السيدةُ يدَيْها نحو الطفلةِ حتى لامسَتْ أصابعُها شعرَ رأسِها ، وخفضَتْ وجهَها لكى يكونَ فى مواجهةِ وجهِ الطفلةِ ، وسألَتْها : " ما اسمُكِ ؟ "

هنا أبعدَتِ الطفلةُ وجهَها قليلاً وهى تُجيبُ : " اسمى مرمر . "

وأحسَّتْ أصابعُ السيدةِ العجوزِ بما فعلَتْهُ الطفلةُ من ابتعادٍ مُفاجئٍ عن وجهِها ، وفهمَتْ أن الطفلةَ فعلَتْ ذلك لأنها فوجِئَتْ بالوجهِ العجوزِ قريبًا جدًا من وجهِها !

ورفعَتِ العجوزُ قامتَها ، وأشارَتْ إلى السماعةِ الطبيةِ فى أذنِها ، وقالَتْ للأبِ فى ابتسامةٍ واهنةٍ : " لعلك لاحظْتَ أننى اعتدْتُ عدمَ السمعِ ، لكننى فى حاجةٍ إلى بعضِ الوقتِ لكى أعتادَ أيضًا عدمَ الإبصارِ . "

فصل تلاميذ فى أربع قارات

الليزر وكيفَ نستخدمُهُ فى العملياتِ الجراحيةِ وتعقيمِ الموادِّ الغذائيةِ وإرسالِ البرقياتِ واللحامِ وغيرِ ذلك ..

هذا هو الدرسُ الذى كانَ يشتركُ فى دراستِهِ طالبٌ فى السنةِ الرابعةِ الابتدائيةِ فى القاهرةِ ، وزميلٌ له فى لندن ، وزميلٌ ثالثٌ فى بكين . أما المعلمةُ فكانَتْ فى معملٍ لأشعةِ الليزر بواشنطن .









وأمامَ كلِّ طالبٍ جهازُ كمبيوتر له شاشةٌ عريضةٌ ، يشاهدُ عليها المعلمةَ والأجهزةَ التى أمامَها ، ويرى ما تعرضُهُ من أفلامٍ ونصوصٍ .

إنه يرى ويسمعُ ، ويسجِّلُ فى ذاكرةِ الكمبيوتر ما يُريدُ مما يرى ويسمعُ ، ثم يُلقِى الأسئلةَ على المعلمةِ ، ويُجيبُ عن أسئلتِها .

ثم يشتركُ فى المناقشةِ مع زملائِهِ ، الذين يراهم ، عندما يضغطُ على مفتاحٍ مُعيَّنٍ فى الكمبيوترِ .

هذه هى الفصولُ الدراسيةُ فى المستقبلِ ، كما رأيناها مُجسَّمةً متحركةً ناطقةً ، من خلالِ " آلة الزمن " ، فى الكرةِ الفضيةِ الهائلةِ "سفينة فضاء اسمها الأرض " ، فى مدينةِ والت ديزنى العلميةِ ، الحافلةِ بكلِّ صورِ التسليةِ والترفيهِ ، معَ الرياضةِ والعلمِ .